يخصص الفصل الأول من كتابه عن ابن الرومى لدراسة عصره ، أى القرن الثالث للهجرة وحالة الحكومة والساسة ونظام الإقطاع والحالة الاجتماعية والفكرية والشعر والدين والأخلاق فى ذلك العصر ، كما نراه يكتب بعد ذلك كتابًا بأكمله باسم «شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى» ويهتم بإظهار أهمية البيئة فى دراسة هؤلاء الشعراء فى مقدمة هذا الكتاب حيث يقول :

«أثر البيئة فى شعرائنا الذين ظهروا منذ عهد إسماعيل وقبل الجيل الحاضر هو موضوع هذه المقالات ، ومعرفة البيئة ضرورية فى نقد كل شعر ، فى كل أمة فى كل جيل ، ولكنها ألزم فى مصر على التخصيص ، وألزم فى جيلنا الماضى على الأخص ، لأن مصر قد اشتملت منذ بداية الجيل إلى نهايته على بيئات مختلفات لا تجمع بينها صلة من صلات الثقافةغير اللغة العربية التى كانت لغة الكاتبين والناظمين جميعًا وهى- حتى فى هذه الجامعة - لم تكن على نسق واحد ولا مرتبة واحدة لاختلاف درجة التعليم فى أنحائها وطوائفها ، بل لاختلاف نوع التعليم بين من نشأوا على الدروس الدينية ومن نشأوا على الدروس العصرية ،واختلافه بين هؤلاء جميعًا وبين من أخذوا بنصيب من هذا ومن ذاك . فالبيئة الإنجليزية أو البيئة الفرنسية فى العصر الحاضر واحدة من حيث اللغة والثقافة ، أو تكاد تكون واحدة فى جميع المدارس وجميع الأنحاء لا اختلاف فيها بين أديبين مثقفين إلا كما يكون الاختلاف بين المهندس والطبيب أو بين الرياضى والمشترع وإلا كما يكون الاختلاف بين الأمزجة والملكات والمزايا النفسية ، ولكن هؤلاء جميعًا يعيشون فى مرحلة واحدة من